من دلالات تحولات لغة النص الروائي على فاعلية الزمان المجتمعي
نموذج الرواية الجزائرية
دراسة في نصوص للطاهر وطار

وجيه فانوس
لبنان

الزمان

فهم كثير من الفلاسفة أنّ ماهية الزمان تقوم في الحركة. ومن أبرز المفاتيح لاكتشاف أبعاد هذا الفهم وميزاته، الولوج إليه عبر ما يمكن استنتاجه مما يقدمه كل من أرسطو وهيدجر في هذا المجال. فأرسطو يُشكل واحدا من أهم الفلاسفة الطبيعيين، في حين إن هيدجر يعتبر من أبرز من أسس لكثير من مفاهيم التعامل مع موضوع الزمان في الفكر العالمي المعاصر.

لقد ربط أرسطو، في كتاب **«الطبيعة»**، الزمان بالحركة؛ ثم حدّه بأنه «مقدار بحسب المتقدم والمتأخر»(1). فإذا ما كان «الزمان»، بهذا الفهم، نوعا من المعيار أو المقياس، فيمكن، تاليا، تقرير بضعة تأسيسات لعل منها:

- لا يكون الزمان بذاته.
- لا يمكن للزمان أن يكون الحركة.

- يكون الزمان في عدد الحركة أو مقدارها.
- يقاس الزمان، الذي هو مقياس لحركة ما يكون فيه، بالحركة العامة للكون.

ولكن، لا بد، في هذا المجال، من ملاحظة أمور مميزة من أبرزها:

- إذا كان الزمان بحاجة أساسية إلى موضوع يكون فيه، فهو متأثر بهذا الموضوع.
- إنّ الموضوع الذي يكون فيه الزمان يصبح، بحكم ما هو فيه من الحركة العامة للكون، مقياسا لهذا الزمان.
- إن الزمان، بحكم ما له من ارتباط بالحركة العامة للكون، يصبح مؤثرا في موضوعه.

يكون الزمان، إذا، في الموضوع الذي هو فيه، ويتجلى عبر قطبين:

- التأثر أو الانفعال.
- التأثير أو الفعل.

ولكن من هذين القطبين خاصية ينماز بها عن الآخر؛ ففيما ينماز الانفعال بما يمكن أن يعرف بالسلبية، يقف الفعل في خانة ما يمكن أن يسمى بالإيجابية. ولذا، يمكن فهم أن الزمان يكون مقياسا وأساسا في الوقت عينه:

- مقياس، بحكم ارتباطه بسواه وانفعاله به.
- أساس، باعتبار:
- فاعليته في هذا الغير المرتبط به.
- ما يمثله من أساس في فهم حركة الكون وتشكل مسارات الوجود.

خلاصة الأمر إن الزمان، ووفاقا لما تدل عليه مفهومات أرسطو وتعريفاته، لا يوجد من غير حركة، أي من دون ما يمكن وصفه بالتغيّر؛ فإذا ما توقف المرء عن الشعور بالتغيير أو بالحركة، فإنه لا يعود يشعر بمرور الزمان. ومن هنا يمكن استخلاص ما يلي:

- **ليس الزمان واحدا من الأمور ذات الصفات السلبية في الوجود.**
- **الزمان قوة فاعلة وأساسية في فهم الوجود والتعامل معه.**

أما هيدجر، فينطلق في تفكيره في الزمان من تأسيسية ترى أن:

- الطابع الأساسي للوجود الإنساني هو الهم "sorge".
- الموجود الإنساني مهموم بتحقيق إمكانياته في الوجود(2).

وإذا ما كان الهم "sorge"، بناء على ما يذهب إليه هيدجر، يتخذ تراكيب ثلاثة تتوزع على:

- تحقيق ممكنات، أو الفعل الآتي.
- ما تحقق من ممكنات، أو الفعل الذي كان
- ما يجري تحقيقه من ممكنات، أو الفعل الراهن.

فلا بد للهم "sorge"، من أن يتصف بالأحوال الزمانية المترابطة بهذه الأفعال:

- المستقبل
- الماضي
- الحاضر

والجدير بالذكر، هاهنا، أن الزمانية، عند هيدجر، هي الوحدة الأصلية لتركيب الهم "sorge"، فهي ما يجعل هذا الهم ممكنا وذلك باعتبار أنها الآنية. وهذه الزمانية لا تكون، عند هيدجر على الإطلاق، بل إنها تتزمن مرتبطة بالمستقبل الذي

هو، برأيه، أساس ما هو زمن والاتجاه الأساسي له. وإذا ما كان تصوير هيدجر للزمان يشير إلى ارتباط مبدئي للإنسان به، فإنه لن يمكن النظر في هذه المبدئية إلا من خلال تشكلات الزمان المرتبطة، هذه المرة، بموضوعه، ويمكن لهذا النظر في الزمان، كما يستخلص من مفهومات هيدجر ومقولاته، أن يؤسس لخلاصة مفادها:

- **ثمة فاعلية توجيهية للزمان**
- **فاعلية منقادة بأمرين:**

أساسية المستقبل

حتمية السعي إلى تحقيقه

إن الزمان، وفاقا لما تم استخلاصه من مفهومات كل من أرسطو وهيدجر:

- أمر أساسي مؤثر وموجة لما هو موضوع له.
- أداة لحساب مقدار هذا الموضوع.

إنّ الزمان، كما سبقت الإشارة آنفا، بحاجة إلى موضوع؛ ومن سمات الموضوع، في هذا المجال، أنه:

- يتخذ من زمانه مجالا لفاعليته فيما هو حوله أو مرتبط به.
- يتحول إلى محطة لانفعاله بحيوية زمانة ومدى ارتباط هذا الزمان بالحركة العامة للكون.

وهنا تبرز أهميتان تكوينيتان في العلاقة بين الزمان وموضوعه:

- دمغ الموضوع لزمانه بسمات تميّزه عن سواه من الأزمنة التي تحوي موضوعات أخرى.
- دمغ الزمان لموضوعه بسمات تميّز تشكله به عن سواه من التشكلات.

ويمكن استخلاص بضعة مفاهيم تتعلق بالموضوع انطلاقا من مقولات هيدجر، هذه؛ ومن أبرز هذه المفاهيم:

- الموضوع يعطي صفته للزمان.
- الموضوع يوجه ما يكون فيه من زمان في حركية همومه "sorge" المنشغلة باستمرار بالآتي من الأمور، أو ما يمكن أن يعرف بالمستقبل.

وكما يمكن، في هذا المجال، الحديث عن نموذجين محددين لارتباط الزمان بموضوع له:

- زمان للمكان:

يقيس حركة هذا المكان في:

ذاته

مع بيئته

ما يتفاعل معه

ما ينفعل به

- زمان للناس:

يقيس حركة هؤلاء الناس في:

ذواتهم

بيئاتهم

ما يتفاعل معهم

ما ينفعلون به

بيد أنّ واقع الحال يشير إلى أن الأمر، في هذا النموذج، لا يمكن أن يقف عند حدود هذه التجزئة المدرسية البسيطة؛ **فثمة رابط أقوى وأكثر شمولا يجمع بين الناس والمكان، ويشكل، عبر هذين العنصرين، وحدة وجود موضوعية هي المجتمع.** ومن هنا، **فإن الوجود المجتمعي، بحد ذاته، موضوع يحتاج إلى زمن يقع فيه؛ فتتحقق عبر هذا الوقوع عملية الفعل والانفعال التي تكون للزمان في موضوعاته وبها.**

الوجود المجتمعي

يتشكل الوجود المجتمعي من عدة عوامل وعناصر لعل من أهمها ذلك التفاعل الواقعي الجدلي الذي يقوم بين الإنسان والمكان الذي هو فيه. فالتفاعل يتم، هاهنا، من خلال أمرين أساسيين:

- الوجوه التي يتجلى بها الإنسان في الحقيقة المكانية التي هو فيها مثل:

  الذات

  الآخر

  الفرد

  المجموعة

- الهدف المستقبلي الذي يعمل هذا الإنسان على تحقيقه خلال ما يتشكل من سعيه في:

  الماضي والحاضر عبر عوامل:

  الوعي

  مجريات الصدفة

  ترابط ما يتم بين الوعي والصدفة

وذلك تحقيقا لنتيجة ما لا بد من ظهورها في المسار الحياتي لهذا الإنسان، ولا بد كذلك من تجليها عبر ما ينتج عنه من أمور، كما لا مندوحة من تأثيرها على ما سيكون من تشكلات لعيشه في المقبل من الزمان(3).

إذا كان لا بد من زمان يحقق فيه هذا الوجود المجتمعي وجوده، وإذا كان لا مفر لهذا الزمان من أن يكون حقيقة فاعلة ضمن هذا الوجود المجتمعي، **فلقد بات** من الطبيعي، والحال كذلك، أن يكون ثمة زمان مجتمعي تقاس به حركة المجتمع الذي ينتسب إليه، ويؤثر، بدوره، في وجود هذه الحركة وفاعليتها. **فالزمان المجتمعي** ليس سوى فاعلية الزمان عبر اجتماع الناس في مكان محدد.

فاعلية الزمان المجتمعي

ثمة عنصران أساسيان تقوم عليهما فاعلية الزمان المجتمعي:

- الزمان
- المجتمع(4)

فكل من الزمان والمجتمع، منفعل بالآخر وفاعل فيه في آن؛ وذلك بحكم كيان كل واحد منهما، وبحكم ما يربط واحدهما بصاحبه. من جهة أخرى، فثمة عوامل كثيرة تعمل على تفعيل هذين العنصرين لعل من أبرزها، على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر على الإطلاق:

- حركية الناس بكل ما فيها وكل ما ينتج عنها من:

أحداث

علاقات

- القوانين المتبعة وكل ما يلحق بها من:

قبول

رفض

تغيير

تجديد

- القيم والمفاهيم وكل ما يلم بها من:

قبول

رفض

تغيير

تجديد

صراعات

- العادات والتقاليد وكل ما يحيط بها من:

تناقضات

صراعات

محاولات تحديث

- الأمور الكونية بكل ما فيها من أبعاد:

مناخية

بيئية

- القضايا الإنسانية العامة منها والخاصة بأبعادها:

السياسية

الاجتماعية

الاقتصادية

الفكرية والفلسفية

الذاتية

من نافلة القول أن هذه الفاعلية تعمل على إظهار ذاتها عبر عدد من المجالات المرتبطة بطبيعة البيئة الزمانية والاجتماعية التي تكون فيها؛ فتجد مجالا لإظهار ذاتها في كل ما هو نشاط يمارسه ناس هذه البيئة. وبذا، **يصبح نشاط المجتمع، بكل أمدائه، مرآة لهذه الفاعلية ومحطة إظهار لوجودها، ولا يكون نتاج ناس هذا المجتمع إلا صدى لها وميدانا لتأكيد حضورها ودلالة على حقيقتها وتحققها**. ومن تحصيل الحاصل أن ما يقوم به الإنسان من نشاطات تنتمي إلى:

الفكر

الآداب

الفنون

السلوك

يدخل ضمن هذا الأمداء والأصداء التي تظهر فاعلية الزمان المجتمعي وتؤكد حقيقتها. ومن هنا، **فإن كل ما تتجلى به هذه النشاطات لا يكون إلا من باب الدليل على فاعلية الزمان المجتمعي، ويصح أن يكون ميدانا لدرسها وتحليلها وتقييمها والوصول إلى خلاصات تتعلق بها وتؤثر في سواها من أمور الحياة وقضايا العيش وحقيقة وجود الإنسان عبر ارتباطه بما يحيط به ينتج عن هذا الإرتباط.**

الأدب وفاعلية الزمان المجتمعي

إن ما ينشأ عن الوجود الإنساني من نشاطات أدبية لا بد له من أن ينتظم ضمن هذ الرؤية لفاعلية الزمان المجتمعي، ولا بد له من أن يكون مرآة لهذه الفاعلية

وصدى لها. وواقع الحال يشير، في هذا المجال، إلى **ارتباط عضوي تأسيسي وأساسي، بين الأدب واللغة بمعناها الوجودي الدال على تحقيق مستمر لكينونة الأدب**. فاللغة هي الوجه الذي يعبر عن الفن الأدبي في تجلياته التوصيلية والتواصلية؛ وهي الباب الشرعي والواقعي العملي الذي تنفذ من خلاله وبه الرؤيا الأدبية من مستوى التصور الذي تكون فيه، لدى مرسلها أو ما يعرف بالأديب، إلى مستويات التلقي التي تتمظهر بها للناس، أو ما يعرف بالقارئ أو المستقبل(5).

لا تتمظهر اللغة في الأدب بتشكل واحد، أو بمستوى واحد، أو بقدرة على الفعل واحدة. فاللغة مرتبطة بطبيعة الموضوع الذي يتجلى عبرها؛ ومرتبطة، كذلك، بطبيعة أسلوب التوصيل الذي تساق من خلاله إلى مستقبلها. **إن للغة تجلياتها الخاصة، المنبثقة عن التكون العضوي الذي يسيطر عليها، بحكم ما تعبر عنه من موضوعات وما تتكون به من أساليب وبنى**. ولذا فإن لكل واحد من الفنون التي يتشكل من خلالها الأدب، ميزاته الخاصة التي يؤثر بها على القدرة التعبيرية للغة في أن تكون مدى لفاعلية الزمان المجتمعي وصدى حقيقيا وواقعيا لها.

إن لغة بعض الفنون الأدبية قد تكون أكثر قدرة من سواها على تأمين مدى فسيح لا عثرات فيه لإبراز فاعلية الزمان المجتمعي، وصدى أقرب ما يكون إلى طبيعة الواقع وحقيقة وجوده. فلغة الشعر، على سبيل المثال وليس الحصر، لما في طبيعة العمل الشعري من جمالية مكثفة وابتعاد أصيل عن المباشرة، قد تكون أكثر قدرة، من غيرها، على ما يمكن اعتباره، من باب التجاوز التعبيري البحت، ومن باب مفهومية المصطلح النقدي، «إخفاء» و«مراوغة». ولغة الخطابة، على سبيل المثال كذلك، يمكن أن تكون، لما في فن الخطابة من توسلية بلاغية وتوسم للاستنهاض، أكثر قدرة من سواها، على ما يمكن أن يعتبر «تجبيشا» و«مبالغة»

أو «تهويلا». **ولغة الرواية، لما في الفن الروائي من التصاق بتصوير حقيقة الأمور الواقعة أو المتخيلة، قد تكون أقرب من أي لغة أخرى إلى تأمين المدى الفسيح لإبراز فاعلية الزمان المجتمعي، والصدى الأقرب إلى حقيقة الواقع في مجال الفنون الأدبية.**

لغة النص

لا تقوم لغة النص، أي نص، على مجرد هذا التجمع الظاهر للحروف بأشكال كتابتها وأصوات ألفاظها وتشكل الألفاظ أو الكلمات التي تنبثق عن هذا «التجمع». فلغة النص أكبر من هذا الأمر الشديد البساطة، وأشد اتساعا من ظاهرة هذا التشكل اللفظي للأحرف والكلمات(6). لغة النص، هاهنا، مصطلح يفيد عددا من الأمور والقضايا التي من أبرزها:

- تجلي مادة النص في جدلية تكونها بين:

التشكل المضموني

التشكل الظاهري.

- السياق الذي يسعى الكاتب إلى إظهارها فيه
- السياق الذي يستقبلها القارئ من خلاله

إنها، بالمفهوم النقدي الأدبي المعاصر:

هوية وجود النص

مفتاح الولوج إلى كثير من حقائق هذه الهوية.

لغة النص، إذا، باب واسع متعدد المسارب إلى كثير من مكونات النص؛ أكانت هذه المكونات لجهة الكاتب نفسه، أو البيئة العامة، أو الفن الأدبي. إنها الدليل

الحقيقي والملموس على كثير مما يمكن أن يكون قد شكل واحدا من عناصر وجود النص أو عناصره، وواحدا مما ساهم في تظهير حركية النص وتفعيلها. وإذا كانت فاعلية الزمان المجتمعي من المؤثرات الهامة في تشكل النص، فإن بالإمكان، تاليا، اعتماد لغة النص دليلا على حركية هذه العناصر وفاعليتها في تشكيل الزمان المجتمعي وتأمين فاعليته. ومن هنا، **فإن قراءة في دنيا لغة النص، قادرة، بمفهوم منهجي، على الدلالة على حركية فاعلية الزمن المجتمعي التي انبثق عنها النص، أو مجموعة النصوص المقترحة للقراءة.**

خصوصية نموذج الرواية الجزائرية

من المتعارف عليه بين غالبية المؤرخين للرواية الجزائرية أنها بدأت ظهورا لها في الساحة الأدبية باللغة العربية منذ أربعينات القرن العشرين. فقد ظهرت سبع وثلاثون رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية بين سنة 1945 وسنة 1964، وسبع عشر رواية أخرى بالفرنسية بين سنة 1965 وسنة 1972؛ في وقت لم يتعد ظهور الروايات المكتوبة باللغة العربية الثلاث روايات فقط(7). ومن المتفق عليه بين كثير من مؤرخي الرواية العربية أن أحداث الستينات التي شهدتها الجزائر والمتمثلة في:

- التخلص من السلطة المباشرة للحكم الفرنسي
- تمكن الثورة من انتزاع الاستقلال الوطني.
- السعي الشعبي والرسمي نحو التعريب.
- إقبال العالم العربي على الموضوع الجزائري بمعظم أبعاده.

بدأت **تؤكد هذا البروز للرواية، وتتعامل معه باعتباره من المعالم الدالة على حيوية ما لحركية العيش في الجزائر.**

من جهة ثانية لا يمكن إغفال أن الرواية الجزائرية أبدت قابلية كبرى للتجاوب مع الوضع السياسي والثقافي الذي باتت فيه الجزائر بدءا من مطلع الستينات؛ وإن كثيرا من كتاب الرواية في الجزائر قدموا نتاجا كتابيا لم يكن إلا تأكيدا لحقيقة تفاعلهم الأدبي مع ما مرت به الجزائر منذ تلك المرحلة وحتى اليوم. ثمة ريادة ما لأحمد رضا حوحو، الذي أصدر رواية **«غادة أم القرى»** سنة 1947؛ وكان قد طبعها في تونس، بعد أن أنجز كتابتها إبان إقامته في الحجاز ما بين سنتي 1935 و1945. ومن الواضح، أن موضوع الرواية ساهم في التقليل من تأثيرها إذ عالج الكاتب فيها أحداثا وقعت في مكة، وهي، في أي حال، أحداث لم تستطع إلا أن تتسم بالافتعال والمصادفة وعدم الإقناع. أما الأمر الذي يربط الرواية بالجزائر، فلم يتعد أن يكون إهداء كاتبها الذي توجه به إلى المرأة الجزائرية. ولعل رواية **«صوت الغرام»**، للجزائري محمد منيع. تعتبر من النماذج النادرة للروايات العاطفية ذات الطابع الرومنسي الخاص؛ لكنها اتسمت بترهل بنائها الروائي وضعف جانب الصراع الدرامي فيها، فضلا عن انعدام الحبكة الفنية فيها. ثم برزت رواية السبعينات في الجزائر على يد عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار؛ فضلا عما أصدره عبد الملك مرتاض ومحمد عرعار العالي ومرزاق بقطاش وسواهم. وكان لهذا الإنتاج أن سعى إلى تشكيل جمهور روائي جزائري وعربي للرواية الجزائرية، وكان لهذا الإنتاج أن ساهم في التعامل الفني الإبداعي مع المجتمع عبر طرح الأسئلة حول كيفية شفاء المجتمع الجزائري من جروحه المتعددة والمتنوعة. ويلي هذه المرحلة ما كان من نتاج للروائيين الجزائريين في مرحلة

الثمانينات والتسعينات ونهاية القرن العشرين؛ وقد تميزت الأعمال الروائية، هاهنا، بكونها(8):

- لم تتخل عن معالجة مشاكل المواطن
- تفاعلت مع العصر والقيم والمعايير التي رأت أنها تؤدي بالشعب الجزائري إلى تحديد رسالة له والعمل على تحقيقها.
- زاوجت بين الذاتي والموضوعي سعيا إلى إنتاج معادل فني للواقع.
- صورة أمينة عن الأحداث التي عاشها شعب الجزائر وما زال
- ارتبطت بواقع التعاقب التاريخي والزمني.

من الواضح في هذا المجال، أن الرواية الجزائرية عاينت، في رحلتها الأدبية في هذه المرحلة، المحطات المجتمعية، التي عاناها البلد، وكانت على قدرة فذة في السعي إلى ملء كثير من مساحات التعبير الأدبي عن هذه المحطات. وواضح، كذلك، أن **الرواية الجزائرية لم تبق على حال واحد من أحوال التشكل الفني خلال معاناتها لهذه المحطات؛ بل كانت رواية قادرة على تكييف تشكلها الفني استنادا إلى عدد كبير من العوامل** التي من أبرزها:

- طبيعة الأحداث والموضوعات التي تطرح في المرحلة
- الموقف الأساسي أو الفكري للروائي من الأحداث والمرحلة
- القابلية الفنية على تطوير تشكل الفن الروائي لدى الكاتب.

ومن هذا جميعه، **يمكن للمرء أن يشير إلى حركية واضحة للزمان المجتمعي في الجزائر. إنها الحركية التي يمكن أن تتمثل في عدد التغيرات التي عاناها المجتمع عبر انتقاله من مرحلة الاستعمار الفرنسي إلى مرحلة الحكم الذاتي**؛ بكل تبعاتها:

- الاقتصادية
- السياسية
- الاجتماعية
- الثقافية
- الأدبية

الفردية منها والجماعية؛ وبكل ما يمكن أن يتعلق بهذه الأمور من تفاعل القيم والمفاهيم والأعراف، وكل ما شهدته، وما برحت تشهده، من منعرجات وتجاذبات وتجارب، فضلا عن كل ما له علاقة بتقييم الذات والمجتمع على حد سواء.

خطة للتعامل مع نصوص الرواية الجزائرية

لما كان النصف الثاني من القرن العشرين المسرح الأرحب والأكثر غنى ودلالة لفاعلية النص الروائي الجزائري، فلم يعد ثمة مندوحة من اعتماده مجالا لدرس دلالات تحولات لغة النص الروائي على فاعلية الزمان المجتمعي في الجزائر. ولما كان الروائيون الجزائريون، على تنوعاتهم الذاتية والابداعية والموضوعية، يشكلون شريحة متقاربة في مداها التأثيري على الصعد الفنية والفكرية ومجالات التفاعل المجتمعي، فقد كان من الواقعية العملية أن يعتمد واحدا منهم نموذجا لموضوع درس هذه الدلالات. ولما كان الطاهر وطار:

- أحد أبرز الروائيين الجزائريين الرواد.
- كتب رواياته بوعي لموقع الفنان القيادي وواقعه
- استند في كتاباته إلى:

رؤية شاملة

معايشة واقعية

تفهم لحركة المجتمع

وعي بالفن وأصوله وآفاقه

فقد تم اختيار أعماله الروائية نموذجا لدرس منهجي يتناول تحولات لغة النص الروائي في دلالتها على فاعلية الزمان المجتمعي؛ على أن تكون ثمة ملاحقة لنماذج من التعبير الروائي عنده من خلال موضوعة أو «تيمة» Thème واحدة تتم متابعة تحولات لغة النص عنها عبر مراحل زمنية متنوعة في حياة المجتمع الجزائري.

منهجية درس النصوص ودلالات التحول

أما المنهجية المعتمدة في مجال هذا الدرس فتقوم على:

- تفكيك النص باعتبار تشكله

اللغوي

المفهومي

- البحث في الدلالات اللغوية والمفهومية باعتبار علاقتها بالزمان المجتمعي.
- اعتماد موضوع العلاقة بالأنثى: المرغوبة/المعشوقة/الحبيبة موضوعا أو «تيمة» قابلة للتحليل باعتبار ما تقدمه من

- تكرار حضور في روايات وطار

- دلالات رمزية مشتركة عبر هذه الروايات، إذ هي

الأنثى

الرغبة

الذات

المعشوقة

الوطن

وعلى هذا الأساس فلقد تم اختيار الأعمال الروائية التالية مساحة لتحولات لغة النص الروائي عند الطاهر وطار:

- **«الطعنات»**، من نتاج سنة 1969.
- **«عرس بغل»**، من نتاج سنة 1978.
- **«الشمعة والدهاليز»**، من نتاج سنة 1996.

أما نماذج النصوص فكانت:

- «رمانة» من «الطعنات»
- «العرس عرس ... وإن كان عرس بغل» من «عرس بغل»
- «الشمعة» من «الشمعة والدهاليز».

قراءة في الدلالات المجتمعية للغة النصوص

يمكن الملاحظة أن الشخصية الأساس في كل واحد من النصوص المختارة أنثى؛ وهي أنثى حبلى بالدلالات، فلا تقتصر دلالة حضورها على أنثويتها، وحسب، بل يمكن لهذه الدلالة أن تتوسع لتكون الذات أو الأرض أو الوطن أو

الطموح. الأنثى، هاهنا، حضور منفتح، وغاية النص تقديم ما لدى الروائي من أمور حول هذه «الأنثى». إن كلا من «رمانة»، في «الطعنات»، و«العنابية» و«حياة النفوس» في «عرس بغل»، و«زهيرة» في «الشمعة والدهاليز» تمثل عددا لا بأس من التجليات المجتمعية؛ فهي:

- الأنثى التي لم تتمكن من أن تكون ذاتها أبدا رغم شوقها إلى تحقيق وجودها.
- حقيقة ما في الإنسان الجزائري في سعيه إلى التخلص من كل ما هو ليس من جوهره باحثا عن حقيقة ذاته.
- الوطن بكل سعيه، عبر الاستقلال وسلطة دولته، إلى اكتشاف حقيقة كينونته، ومعاناة الوصول إلى تحقيق هذه الحقيقة من خلال معاينة الواقع ومعاناة ظلماته.

الملاحظ، كذلك، أن «الآخر»، في النص المختار من كل واحدة من الروايات الثلاث، يحتل احتمالات واسعة في تمثيله:

- الذكر في علاقته مع الأنثى عبر الاستغلال أو المساعدة.
- الجزائري في علاقته مع ذاته وسعيه إلى التفاعل مع حقيقتها.
- المواطن في نظرته إلى حقيقة الوطن وطبيعة ما فيه من أجهزة سلطة وقيم.

وفي استعراض للوجود المجتمعي الذي تتمسرح به هذه الشخصيات، والذي يمكن حصره، على سبيل المنهجية لا غير ، بـ

1) الفرد
2) الآخر
3) فاعلية الآخر
4) مسرح الفعل
5) الواقع
6) الجماعة
7) الهدف المتحقق
8) النتيجة

يمكن تكوين الجدول التالي:

العنصر المجتمعي	التجلي	رمانة (الطعنات) 1969	العرس عرس .. وإن كان عرس بغل (عرس بغل) 1978	الشمعة (الشمعة والدهاليز) 1996
الفرد	هي/هنّ	رمانة: بغي	بغي: العنابية وحياة النفوس	فتاة من عامة الشعب
الآخر	هو/هم	زبائن البغي وسماسرة بغيها، وأهلها المعدمون السائرون على دروب البغاء	زيتوني مرتد يعشق البغي ويسعى لمرضاتها، وهم سماسرة وزبائن وزملاء عمل يحبون البغي	أستاذ جامعي ملتزم بمسؤولية اجتماعية
فاعلية الآخر على الفرد	عمل ولقاء	مستثمر ومستغل لها	صديق متوله، وسمسار بغي محب، زميل متعاطف وودود	إعجاب مخلص ينماز بالصدق والعمق والبراءة
مسرح الفعل	المكان	دار بغاء	دار بغاء	حافلة تمر وسط شارع عام
الواقع	الإحساس	وحدة ومرارة سجن	قوة، شوق، حب، اشتهاء، قدرة على تسيير الآخرين	ثقة بالنفس ووضوح

			والحاجة إليهم في الوقت عينه	
الجماعة	الأهل	بؤس وإجرام وبغاء	زميلات البغاء	أسرة عادية متعاطفة من عامة الشعب
الهدف المحقق	الجو العام	تجارة رقيق أبيض	إدارة ناجحة لدار البغاء	حوار جدي ورصين وواعد حول المستقبل
النتيجة	الوضع العام	دوامة لا تنتهي	باتجاه تحقيق هدف ما	لقاء بين المثقف وابنة الشعب

إن قراءة في الدلالة المجتمعية للغة هذه النصوص تشير إلى عدد من الأمور لعل من أبرزها:

- أن الأنثى التي لم تكن قادرة إلا أن تكون بغيا مستغلة في نص 1969؛ ظلت بغيا في نص 1978، لكنها أضحت بغيا مستقلة بذاتها لها من يدير أعمالها ويحبها لشخصها وجوهرها النفسي أكثر مما يحبها لظاهر جسدها. وتشير هذه القراءة إلى أن الأنثى في نص 1996 لم تعد بغيا على الإطلاق؛ لقد صارت أنثى تعرف كيف تحافظ على شرفها الأنثوي من غير ما ضعف أو ذل، وتعرف كيف تحاور الآخر الذي يفرح بقوة حضورها ويسعى إلى التعامل معها بما يقوّي هذا الحضور ويعززه بربطه بأصالته التاريخية والثقافية.
- أن الجسد، وما قد يرتبط به من لذات مادية رخيصة مبتذلة، هو المهيمن على نصي 1969 و1978؛ في حين إن المستقبل وشؤون الهوية الثقافية هي المسيطرة على نص 1966.

- أن الآخر تحول من مستثمر قذر في نص 1969، إلى مساعد متيم في نص 1978، ليصير صديقا معجبا ومساعدا في نص 1996.
- أن الإحساس، الذي لم يتجل إلا بالمرارة والوحدة والسجن في نص 1969، أصبح إحساسا بالقوة والشوق والحب والاشتهاء، فضلا عن القدرة على تسيير الآخرين والحاجة إليهم في نص 1978؛ ثم تحوّل إلى ثقة واضحة بالنفس في نص 1996.
- أنّ الفاعلية المجتمعية التي تمثلت في نص 1969 بتجارة للرقيق الأبيض، باتت في نص 1978 إدارة ناجحة لدار بغاء، تمكنت من التحول، في نص 1996، إلى حوار جدي ورصين وواعد ببناء مستقبل واع ومسؤول.
- أن العيش، الذي ظهر وكأنه دوامة من الشقاء لا تنتهي في نص 1969، تحول إلى سعي لتحقيق هدف، ولو غير مجد، في نص 1978، صار في نص 1996 لقاء بين المثقف الواعي وابنة الشعب المسؤولة عن ذاتها ومجتمعها.

الخلاصة الأشد سطوعا للدلالات المجتمعية في هذه النصوص، تفيد أن ثمة مسارا يؤكد حصول تغير فعلي في المجتمع الجزائري، أو أقله في فهم الكاتب لوجود هذا المجتمع ورحلته باتجاه مستقبله. ومن الواضح، في هذا المجال، أن هذا المسار التغييري لم يحدث فجأة، بل صار خلال عدد من المراحل الانتقالية، التي تنفي الطفرة وتشير إلى مبدأ التطور الطبيعي في تحقق الوجود، عبر فاعلية المستقبل أو تحقيق الحلم/الأمنية. وفي هذا، حكما، ما يشهد لصحة مقولة هيدجر من أن الهم "sorge" يشكل الطابع الأساسي للوجود الإنساني، وإنه الفاعلية الأساسية لتحقيق وجود الإنسان من خلال ارتباط هذا الإنسان بفهمه لمستقبله ورؤيته لهذا المستقبل. فمن الطبيعي، أن الجزائري، لم يخض ما خاضه من

تضحيات العمل الثوري ونضالاته ومساعيه التغييرية، إلا سعيا وراء مستقبل أفضل من الذي كان. وحقيقة حال هذه النصوص المعتمدة من روايات الطاهر وطار، في دلالاتها المجتمعية، توضح هذا الأمر وتشدد على مقولاته.

إنّ تعمقا أكثر غوصا في المجالات الدلالية المجتمعية لهذه النصوص يمكن أن يقود إلى إضاءات كبيرة على طبيعة العيش المجتمعي الجزائري. أو على الأقل على ما فهمه الطاهر وطار من طبيعة هذا العيش ورغب في تصويره عبر نصوص رواياته.

مجالات الدلالة المجتمعية للغة النص في «الطعنات»

- التجليات العامة

يشير المختار من رواية **«الطعنات»** إلى خلاصات أو صفات تجلت عبر عدد من القضايا المجتمعية التي أثارها أو أشار إليها. ولعل الجدول التالي يمكن أن يشير إلى كثير من هذه الأمور:

الموضوع	الشاهد	الخلاصة
الزمان	أيام ثقيلة بطيئة	- بطء حركة الوقت
المجتمع	رغم تغير وجوه أصدقاء بوعلام ومجدوب وصديقاتهم	- أصدقاء الغير
الحل	فلم يقابلني غير الفرار والرجوع إلى كوخنا	- الفرار - العودة إلى الماضي الذاتي والاجتماعي

الحاضر	لم أجد أي مبرر لبقائي في هذا الجو المخنق	– لا مبرر للحياة في الحاضر
الخروج	حاولت ذات يوم، وقد بقيت وحدي في الفيلة الكبيرة، أن أخرج، فلم أجد منفذا	– لا منفذ للخروج من هذا المكان الكبير
الموقف	بكيت بمرارة وصدق لحظات، ثم سكبت كأسا من قارورة ارشتقتها، وأضفت لها ثانية وثالثة، كان المشروب أبيض لازجا من الذي تعود الرجال شربه، فاستعذبت مرارته، وحرارته الشديدة.	– بكاء – نسيان في ما لا يناسب طبيعة هذا الإنسان – استعذاب المرار
النتيجة	شعرت بالبلادة تصعد إلى رأسي، فترتخي أعصابي وترتخي وبدأت الجدران والأرائك والقواوير والأكوس تبتعد عني وتبتعد، حتى لم أبق إلا أنا، وكأنني بلا وزن، بلا جسم، أسبح في متاهة زرقاء ضبابية	– بلادة ذهنية – ابتعاد عن الواقع – انجراف في تفريغ الذات من واقعها – التيه الضبابي
الأصل أو الجذر	بخير، أمك طعنها البرادعي بخنجر، وذهب إلى السجن، وأختك تستقبل الضيوف	– فقدان الإحساس بالأذى – لا يعتبر الخراب إلا أمرا عاديا لا يستاهل أن يحتسب إلا ضمن الخير
الآخر	أنا أحبك، اللعين أقسم أن لا أمسك بك إلا بمائة ألف، هل تتصورين، أنا صديقه أنا شريكه، آه، هل تتركينني أنام معك الليلة	– وصولية مطلقة
الذات	معك أو معه أو مع القاضي أو الشيطان، لا يهم، ما دمت هيكلا بلا روح، بلا خجل، بلا تردد.	– فقدان الروح

الذات الأخرى	- تقدمت إلى كوخ أختي، أرملة البرادعي، فبلغني صوتها وهي تترنم على دقات طبل بارد: «ياجاري يا محمود ياجاري دبر علي، الناس تبات رقود، وأنا النوم حرام علي».	- إعطاء الذات إلى الآخر سدا لحاجة
العلاقة بالأصل	غمرني شعور قوي، بأن حبنا، وإن انحط إلى أسفل سافلين، لا يخلو من الرحمة	- استمرار طيبة الأصل رغم كل اعوجاجاته
الذات الأخرى	قبلت فايزة ثم ربحا. كانت روائح قذرة تنبعث منهما وكانتا مع ذلك رائعتي الجمال	- جمال الذات الأخرى باق رغم كل ما فيها من قذارة
الآخر	أفهمني أن أبو علام له أكثر من مائة زوجة، وأنني سأظل فترة طويلة أفضل زوجاته، وأنه يكسب أموالا طائلة من كل هذه الزوجات، ويسيطر بهن على كل من يريد	- قوّاد تاجر حتى بما يحب
الخلاص	اللهم إلا أن تسقيه وتسممه، سأعينك وسأتزوجك.	- قتل القوّاد بالاستعانة بقوّاد آخر وإحلاله محله

أما النتائج التي يمكن أن تستخلص من هذا العرض، فتختصر، ووفقا لما جاء في جدول الخلاصة بـ:

1) بطء الزمن
2) انتفاء الصداقات
3) الفرار إلى الماضي
4) فقدان مبررات العيش
5) الحياة سجن كبير
6) البكاء
7) النسيان المكروه
8) استعذاب المرار
9) بلادة الذهن
10) البعد عن الواقع

11) التية الضبابي
12) تصحر الإحساس
13) فقدان حيوية النفس
14) الوصولية المطلقة
15) تسليع الذات
16) استمرار طيبة الأصل رغم كل اعوجاجات الواقع
17) الخلاص من الأذى بإحلال أذى آخر محله

ومن الجلي، أن كل هذه تبقى **دلالات سلبية خلا ما يمكن فهمه، من منظار أخلاقي أو تراثي، بأنه استمرار لطيبة الأصل. وهذا ما يشير إلى درجة التعفن المجتمعي الذي كان في الزمن الذي يصوره الطاهر وطار في روايته أو هو يكتب فيه الرواية، زمن الستينات.**

- التراكيب الكلامية

اعتمد، لتنفيذ هذا القسم من الدراسة، النموذج المتمثل بالمقطع الأول من فصل «رمانة» من رواية «الطعنات». ولقد تم اعتماد هذا المقطع، لعدد من الأسباب الموضوعية التي منها:

- إنه جزء من الفصل المختار نموذجا عاما لنص الرواية
- إن بنيته التركيبية:

لا تختلف عن البنية التركيبية لأي مقطع آخر من مقاطع النص المختار

لا تختلف عن البنية التركيبية العامة لأي جزء آخر من أجزاء نص الرواية.

ولقد تم استعراض التراكيب الكلامية في هذا النموذج على أساس وجود الجملة، باعتبار أن معظم الكلام يقوم، في جوهر فاعليته، على الجملة؛ ثم صنفت هذه الجمل وفاقا لأنواع تركيبها. وجاءت النتيجة كما هو مثبت في الجدول التالي:

الرقم	التركيبة	نوعها
1	مرت أيام ثقيلة بطيئة	جملة فعل ماض
2	شعرت بالملل	جملة فعل ماض
3	قلبت الأمر على كل وجوهه	جملة فعل ماض
4	لم يقابلني غير الفرار	جملة فعل مضارع مجزومة
5	الرجوع إلى كوخنا	جملة اسم
6	أقاسم أمي المعاناة	جملة فعل مضارع
7	لم أجد أي مبرر لبقائي	جملة فعل مضارع مجزومة
8	حاولت ذات يوم	جملة فعل ماض
9	بقيت وحدي في الفيلة	جملة فعل ماض
10	لم أجد منفذا	جملة فعل مضارع مجزوم
11	كانت الأبواب مغلقة بإحكام	جملة فعل ماض ناقص
12	إنها مسيجة بقضبان حديدية	جملة حرف مشبه بالفعل
13	بكيت بمرارة	جملة فعل ماض
14	سكبت كأسا من قارورة	جملة فعل ماض
15	أضفت لها	جملة فال ماض

16	كان المشروب أبيض	جملة فعل ماض ناقص
17	استعذبت مرارته	جملة فعل ماض
18	شعرت بالبلادة	جملة فعل ماض
19	ترتخي أعصابي	جملة فعل مضارع
20	بدأت الجدران والأرائك والقواوير والأكوس تبتعد عني	جملة فعل مضارع
21	لم أبق إلا أنا	جملة فعل مضارع مجزوم
22	كأنني بلا وزن	جملة حرف مشبه بالفعل
23	أسبح في متاهة	جملة فعل مضارع
24	قذفت رأسي	جملة فعل ماض
25	همدت أنشد الغناء	جملة فعل ماض
26	تكرر نداء	جملة فعل ماض

يمكن القول أن هذا النموذج يشتمل على ست وعشرين جملة تتوزع على ست من التراكيب الكلامية التي تقوم على التعداد التالي:

نوع التركيبية	العدد	النسبة المئوية
جملة اسم	1	٪4
جملة حرف مشبه بالفعل	2	٪8
جملة فعل ماض كامل	13	٪50
جملة فعل ماض ناقص	2	٪8
جملة فعل مضارع كامل	4	٪15
جملة فعل مضارع مجزوم	4	٪15

نموذج من نسب التركيب الكلامي في (الطعنات) 1969

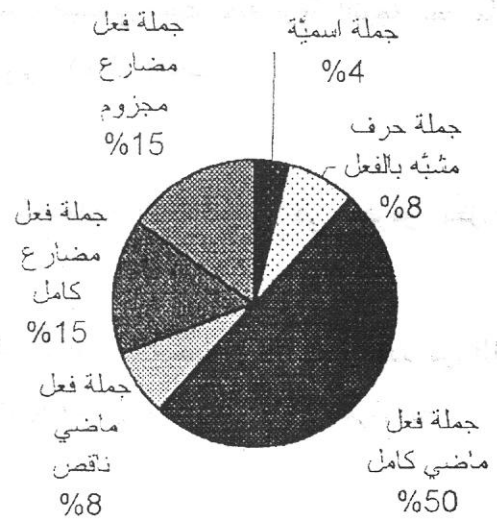

مما يمكن أن يفيد أن **الطاهر وطار استعمل لغة نص روائي تعتمد على أربع تراكيب أساسية للتعبير عن موضوعات القحط والجدب والإملاق النفسي والمجتمعي في مرحلة الستينات. ويشكل تركيب الجملة الفعلية في الزمن الماضي المساحة الكبرى من هذه اللغة، فيما يشكل تركيب الجملة الإسمية المساحة الدنيا من هذه اللغة.**

- خلاصة

إذا ما أخذ المرء بعين الاعتبار أن الفعل الماضي يدل، عادة على ما سبق وحصل من الأمور، وأن الاسم يمكن أن يدل على ما هو مغلوق أو منشأ من الأشياء، فلعل بالإمكان القول أن **لغة النص الروائي الجزائري، في مرحلة الستينات، عند الطاهر وطار، ومن خلال النموذج المعتمد من رواية «الطعنات»، يمكن أن يدل على زمان مجتمعي غلبت عليه نزعة التوجه نحو ماض ما، وسيطرت عليه موجة عدم الميل إلى الابتكار والخلق.**

مجالات الدلالة المجتمعية للغة النص في «عرس بغل»

- التجليات العامة

يظهر الجدول التالي خلاصات لصفات تجلت عبر عدد من القضايا المجتمعية التي أثارها أو أشار إليها النص المختار من رواية «عرس بغل»:

الموضوع	الشاهد	الخلاصة
الوقت	تنقضي الأيام دون أن يشعر بها	سرعة حركة الوقت
النشاط العام	كانت الأشغال كثيرة جدا، وعقدها الهاتف أكثر	حيوية عمل وتقدم تكنولوجي
المرأة	كل شيء فيها مستقيم منسجم وجذّاب، حيوية، مرحة	حيوية وجاذبية
المال	– هل تريد نقودا؟ لقد وفرت المبلغ، هل تريده؟ – لا يا بنت الناس هذا السبت لا أحتاج	راحة اقتصادية
الآخر /الأنثى	شعر بالعطف عليها. شعرت باعتزاز كبير لاستعماله معها هذا التغير: بنت الناس، كان أبي يستعمله مع أمي عندما يكون راضيا عليها. عندما يريد أن يعبّر لها عن مسؤولياته نحوها.	– متعاطف – محترم – مسؤول
المجتمع	رنّ الهاتف، «طلبت الأغواط إليك الأغواط لا تقطع»	تواصل جدي مع الآخر
الآخر	لم يكد يعرفها بتونس حتى فصل عنها، وظل يحلم بالعودة إليها، ظل يحلم خمسا وعشرين سنة بلياليها وبأيامها، وعندما عاد، لم يجد إلا اسمها، أو فضلها، وهو لا يزال ينتظر عودة البنت، التي حملته من رجليه، مستعينة بزميلاتها إلى غرفتها، وشقت قلبه بعينيها الجميلتين، ووضعت فيها حبها. استطاعت أن تزعزع جامع الزيتونة بسواريه وبمشائخه وبفقهه ونحوه وصرفه وتجويده إلى هزي، يحج إلى كيان.	– حلم – حب – تغيير مفصلي في الذات
الذات	إن عري أجساد، هذه الولايا، يعكس عري واقعهن أيضا. ليس لديهن ما يخفينه، وكل من يأتي إلى هنا، ليس لديه ما يخفيه، في لحظات معينة.	– واضحة – جليّة

الآخر /المجتمعي	سأتي وسأرقص بنفسي في عرس أحبابي. سيأتي معي سرب من غزلان وظباء الصحراء. سلم على العنابية.	– متعاون – ودود
الوضع العام	العرس أولا وآخر، عرس بغل	عقم
التفاعل	كانت فرحة، فرحة أكثر مما يجب بالنسبة للجو العادي.	– شوق – ود – صدق

وتأتي النتائج، التي يمكن أن تستخلص من هذا العرض، وفاقا لما يلي:

1) سرعة الزمن
2) حيوية العمل
3) التقدم التكنولوجي
4) الراحة الاقتصادية
5) التعاطف مع الآخر
6) احترام الذات والآخر
7) وعي تحمل المسؤولية
8) التواصل الجدي مع الآخر
9) الحلم
10) الحب
11) التغيير المفصلي في رؤية الذات والتعامل معها
12) الوضوح
13) التعاون
14) الودّ
15) العقم
16) الشوق
17) الصدق

من الجلي، هاهنا، أيضا، أن كل هذه تبقى **دلالات ايجابية خلا ما يمكن فهمه، من منظار إنتاجي أو قيمي، بأنه العقم، وهذا ما يشير إلى درجة الحركة والتغيير**

التي ألمت بالمجتمع الجزائري في الزمن الذي يصوره الطاهر وطار في روايته أو هو يكتب فيه الرواية، زمن السبعينات.

- التراكيب الكلامية

اعتمد لتنفيذ هذا القسم من الدراسة، النموذج المتمثل بالقسم الأول من مطلع فصل **«العرس عرس ... وإن كان عرس بغل»**، والذي ينتهي بتوقف الحوار الثنائي بين الوهرانية والحاج كيان. ولقد تم اعتماد هذا المقطع باعتبار ما يمكن أن يمثله من نموذجية واضحة تشمل مجمل ملامح الصياغة العامة للنص الروائي في الرواية. ولقد تم استعراض التراكيب الكلامية في هذا النموذج على أساس الجملة، باعتبار أن الكلام يقوم، في جوهر فاعليته، على الجملة؛ ثم صنفت هذه الجمل وفاقا لأنواع تراكيبها، وجاءت النتيجة، كما هو مثبت في الجدول التالي:

الرقم	التركيبة	نوعها
1	لأول مرة	شبه جملة
2	في حياة الحاج كيان	شبه جملة
3	تنقضي الأيام	جملة فعل مضارع كامل
4	يمر الاثنين	جملة فعل مضارع كامل
5	تأتي الجمعة	جملة فعل مضارع كامل
6	يتفطن إلى ذلك	جملة فعل مضارع كامل

الرقم	التركيبة	نوعها
7	كانت الأشغال كثيرة	جملة فعل ماض نافص
8	عقدها أكثر الهاتف	جملة فعل ماضي كامل
9	يحسن جيدا استعماله	جملة فعل مضارع كامل
10	يندر أن يجد صاحبة محل في موضعها	جملة فعل مضارع كامل
11	من يطلبها	جملة استفهام
12	من أين؟	جملة استفهام
13	انتظر	جملة فعل أمر
14	إنها منشغلة	جملة حرف مشبه بالفعل
15	أنت من تكون؟	جملة استفهام
16	معلمتك غنية	جملة اسمية
17	تستعمل كتابا	جملة فعل مضارع كامل
18	نحن هنا منشغلات	جملة اسمية
19	هل عندكم فراغ؟	جملة استفهام
20	كم عمرك؟	جملة استفهام
21	تثرثر بدورها	جملة فعل مضارع كامل
22	كأنما تتكلم من قعر بئر	جملة فعل مضارع كامل

23	تستيقظ من نوم سنة كاملة	جملة فعل مضارع كامل
24	اليوم الجمعة	جملة اسمية
25	قالت	جملة فعل ماض كامل
26	تعمدت أن تقف	جملة فعل ماض كامل
27	أن تقف	جملة حرف مشبه بالفعل
28	أن تلفت نظره	جملة حرف مشبه بالفعل
29	كل شيء فيها مستقيم	جملة اسمية
30	من أين عدت؟	جملة استفهام
31	اليوم الجمعة يا الحاج	جملة اسمية
32	أهكذا تنساني بسرعة؟	جملة استفهام
33	اليوم موعدنا	جملة اسمية
34	شغلني هذا العرس	جملة فعل ماض كامل
35	آخر عرس يعري	جملة اسمية
36	ألم تنه منه بعد؟	جملة استفهام
37	هذا المساء أضع الاستدعاءات في البريد	جملة اسمية
38	ينتهي كل شيء	جملة فعل مضارع كامل

39	تبقى بعض أمور خفيفة	جملة فعل مضارع كامل
40	اليوم الجمعة يا حاج	جملة اسمية
41	أنسيت؟	جملة استفهام
42	هل تريد نقودا؟	جملة استفهام
43	وفرت المبلغ	جملة فعل ماض كامل
44	هل تريده؟	جملة استفهام
45	لا يا بنت الناس	جملة نفي
46	هذا السبت لا أحتاج	جملة اسمية

يمكن القول أنّ هذا النموذج يشتمل على ست وأربعين تتوزع على تسع من التراكيب الكلامية التي تقوم على التعداد الوارد في الجدول التالي، وتعطي النسبة المئوية المشار إليها في الجدول عينه:

التراكيب	العدد	النسبة المئوية
جملة فعل أمر	1	٪2
جملة فعل ماض ناقص	1	٪2
جملة نفي	1	٪2
شبه جملة	2	٪4

جملة حرف مشبه بالفعل	3	٪7
جملة فعل ماض كامل	5	٪11
جملة اسمية	10	٪22
جملة استفهام	11	٪24
جملة فعل مضارع كامل	12	٪26

نموذج من نسب التركيب الكلامي في «عرس بغل»، 1978

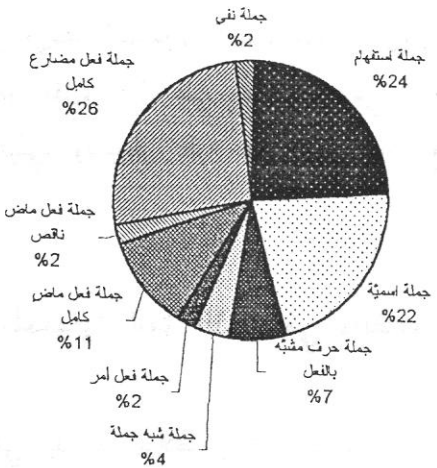

يستفاد من هذا أن الطاهر وطار **استخدم لغة نص روائي تعتمد على تسع تراكيب أساسية للتعبير عن موضوعات ذات حركية مجتمعية وذاتية توحي بالإيجابية، في مرحلة السبعينات**. والملاحظ، في هذا المجال، أن تراكيب الفعل المضارع تكاد تتساوى، إلى حدّ كبير، مع جملة الاستفهام؛ في حين أن الجمل التي تقوم على بقية التراكيب، مثل النفي، الفعل الماضي، فعل الأمر، شبه الجملة، شكلت على اجتماعها، المساحة الدنيا من لغة النص.

- **خلاصة**

إذا اعتبر المرء أن التعبير عن الفعل بصيغة المضارعة يمكن أن يدل على حصول للحدث مرتبط بالزمان الراهن، وإذا ما كان التعبير عن الفعل بصيغة الأمر يمكن أن يدل على توقع ما لحصول الفعل في الزمان الآتي، فلعل بالإمكان القول، والحال كذلك، ومن خلال النموذج المعتمد من «عرس بغل»، أن **لغة النص الروائي الجزائري، في مرحلة السبعينات، عند الطاهر وطار، ومن خلال النموذج المعتمد من رواية «عرس بغل»، تدل على زمان مجتمعي تغلب عليه نزعة الراهنية ومجالات التوقع المستقبلي؛ ويسيطر عليه جو يوحي بالتطلع الواعد إلى الزمان الآتي**

مجالات الدلالة المجتمعية للغة النص في «الشمعة والدهاليز»

- **التجليات العامة**

يظهر الجدول التالي، بدوره الخلاصات أو الصفات التي تجلت عبر عدد من القضايا المجتمعية التي أثارها، أو أشار إليها، النص المختار من رواية «الشمعة والدهاليز»:

الموضوع	الشاهد	الخلاصة
الزمان	ومض البرق	شديد السرعة والحركة
الأنثى	أطلت، في مخيلته، بوجهها الغلامي، ذي العينين المنتصبتين، في طرفي وجهها، بحيث تبدوان، كأنهما لومياء فرعونية، لنفرتيتي، أو لكليوباطرة، أو كأنهما لغزالة، لهما مضاء حاد، ولهما تودد سخي، أنفها رقيق بفطسة تتناسب تمام التناسب مع شكل الوجه الطويل، منخراه صغيران يروحان يهتزان كلما تنفست. خنابتاهما ممتلئتان بعض الشيء فوق فم صغير رقيق الشفتين، يحلو لها دائما أن تصبغه بأحمر شفاه وردي باهت خافت. ذقنها الدقيق، تزينه فلجة رقيقة تكبر وتصغر حسب حالتها الصحية، يتراوح لونها بين بياض وسمرة وزرقة، وذلك ما يجعلها تبدو، في الوقت الواحد، آسيوية	- جمال - تنوّع - توحد - وداد - تناسب
الأنثى	أطلت، في مخيلته، بوجهها الغلامي، ذي العينين المنتصبتين، في طرفي وجهها، بحيث تبدوان، كأنهما لومياء فرعونية، لنفرتيتي، أو لكليوباطرة، أو كأنهما لغزالة، لهما مضاء حاد، ولهما تودد سخي، أنفها رقيق بفطسة تتناسب تمام التناسب مع شكل الوجه الطويل، منخراه صغيران يروحان يهتزان كلما تنفست. خنابتاهما ممتلئتان بعض الشيء فوق فم صغير رقيق الشفتين، يحلو لها دائما أن تصبغه بأحمر شفاه وردي باهت خافت. ذقنها الدقيق، تزينه فلجة رقيقة تكبر وتصغر حسب حالتها الصحية، يتراوح لونها بين بياض وسمرة وزرقة، وذلك ما يجعلها تبدو، في الوقت الواحد، آسيوية	- جمال - تنوّع - توحد - وداد - تناسب
الحلم	يقول كلما رآها، إنه عرفها قبل اليوم. رآها في مخيلته، في قصيدة ما، أو في عبارة ما	- تطابق الحلم مع الواقع

الواقع	لو أن فنانا، كلف بأن يختار لباسا يلائمها، لأضاع نصف عمره دون أن يهتدي إلى هذا التناغم البديع بين الشكل والمحتوى	– تناغم كلي مع تشكله الذاتي
الفعل المجتمعي	كان يتفادى التحدث عن المرأة، إلا بما توحي به اللغة الفرنسية التي يكتب بها، والتي يحس أنها لا تستطيع أن تتنازل لملامح أمه أو خالته أو حتى العارم. لأن عليه في الآن الواحد أن يستحضر وأن يستبعد المخزون المترسب من لامارتين وراسين ومونتيسكيو ورامبو وفيكتور هيجو، يستحضره لأنه قرأه وأحبه ورسب في ذاكرته، وتشكل وجدانا تجريديا في أعماقه. تطل أزميرالدة، العبارات التي سكنتها أزميرالدة، وهو يتخيل العارم، فلا ينطبق الوصف على الموصوف، ولا الرسم على المرسوم.	– ضرورة مطابقة لغة الفكر للغة العيش – رفض التقليد المعرفي الثقافي الأجنبي المتوارث
واقع الثقافة	حاول أن يكتب باللغة العربية، أن يقول على غرار شعراء المعلقات وفحول شعراء الغزل، لكن الانغلاق في لغة القاموس، التي يتلقاها في شكل مختلف جدا بالنسبة للغة الفرنسية، جعله يعدل	– ضرورة إعادة النظر في الموروث الثقافي المحلي الوطني
الأنثى	وجد نفسه مجبرا على أن يتبعها	– حتمية اللحاق بها
الآخر	لم تلحظ فيه ما يخيف، خاصة وأنه كبير السن في مثل عمرها مرتين أو يزيد، يبدو عليه الوقار والجديّة، يؤكد ذلك المحفظة المثقلة بالكتب والأوراق التي يحملها	– صديق – محترم – ودود – موثوق
الأنثى	وفي إمكانها في أية لحظة، إذا ما لاحظت منه ما يمكن اعتباره خروجا عن النطاق، إيقافه	– قادرة – مستقلة

الجو العام	قالت بينما أنفها الأفطس يصعد وينزل، متمسكا بوقار ابتسامة فلتت منها، أو أطلقت لها ما تريد من عنان	– سعيد – مرح
الإحساس القومي	أعجب شديد الإعجاب بطلاقة لغتها العربية، وبابتعادها كلية عن أية مفردة فرنسية	– أساسية اللغة العربية

وتأتي النتائج، التي يمكن أن تستخلص من هذا العرض، وفاقا لما يلي:

1) السرعة والحركة
2) الجمال
3) التنوع
4) التوحد
5) الوداد
6) التناسب
7) التطابق بين الحلم والواقع
8) التناغم الكلي
9) ضرورة مطابقة لغة الفكر مع لغة العيش
10) رفض التقليد المعرفي والثقافي الأجنبي
11) إعادة النظر في التعامل مع الموروث الثقافي المحلي الوطني
12) حتمية اللحاق بالأنثى
13) أساسية الصداقة في العيش المجتمعي
14) الاحترام للذات وللغير
15) الثقة
16) القدرة والاستطاعة
17) الاستقلال
18) السعادة
19) المرح
20) أساسية اللغة العربية وثقافتها في ممارسة العيش المجتمعي.

ومن البين، هاهنا، أيضا، أن مجموع هذه الأمور، يمكن أن يشكل ما يعتبر **دلالات إيجابية دات بعد إنساني ثقافي وقومي في الوقت عينه. وفي هذا تحديد لمسار في الحركية المجتمعية في الجزائر خلال التسعينات، الزمن الذي يصوره الطاهر وطار في روايته أو كان يكتبها فيه يكن ظاهرا على الإطلاق في المراحل الزمنية السابقة.**

- التراكيب الكلامية

اعتمد لتنفيذ هذا القسم من الدراسة، النموذج المتمثل بالمقطع الأول من النص المختار من «الشمعة والدهاليز» والذي ينتهي بجملة «*سحر بها لا يدري من، أو بماذا*». ولقد تم اعتماد هذا المقطع باعتبار قدرته الواقعية على تمثيل نموذجية واضحة يمكن أن تشمل مجمل ملامح الصياغة العامة للنص الروائي في هذه الرواية. ولقد تم استعراض التراكيب الكلامية في هذا النموذج على أساس الجملة، إذ الكلام يقوم، في جوهر فاعليته عليها. ثم صنفت هذه الجمل كما حصل في النماذج السابقة، وفاقا لأنواع تراكيبها، وجاءت النتيجة، كما هو في الجدول التالي:

الرقم	التركيبة	نوعها
1	ومض البرق	جملة فعل ماض كامل
2	أطلت	جملة فعل ماض كامل
3	في مخيّلته	شبه جملة

4	بوجهها الغلامي	شبه جملة
5	ذي العينين المنتصبتين	جملة إسم
6	في طرفي وجهها	شبه جملة
7	بحيث تبدوان	شبه جملة ظرف
8	كأنهما لمومياء فرعونية	جملة حرف مشبه بالفعل
9	كأنهما لغزالة	جملة حرف مشبه بالفعل
10	أنفها رقيق	جملة اسم
11	منخراه صغيران	جملة اسم
12	يروحان يهتزان	جملة فعل مضارع كامل
13	خنابتاها ممتلئتان	جملة اسم
14	يحلو لها	جملة فعل مضارع كامل
15	ذقنها الدقيق	جملة اسم
16	تزينه فلجة رقيقة	جملة فعل مضارع كامل
17	يتراوح لونها	جملة فعل مضارع كامل
18	يجعلها تبدو	جملة فعل مضارع كامل
19	ما إن رآها	جملة ظرف
20	لأول مرة	شبه جملة

21	يتسنى له	جملة فعل مضارع كامل
22	يجبر على أن يقول	جملة فعل مضارع مبني للمجهول
23	سحر بها	جملة فعل ماض مبني للمجهول

يشتمل هذا النموذج على ثلاث وعشرين جملة، تتوزع على سبع تراكيب كلامية تقوم على التعداد الوارد في الجدول التالي، وتعطي النسبة المئوية المشار إليها:

التراكيب	العدد	النسبة المئوية
جملة فعل مضارع مبني للمجهول	1	٪4
جملة فعل ماض مبني للمجهول	1	٪4
جملة فعل ماض كامل	2	٪9
جملة حرف مشبه بالفعل	2	٪9
جملة اسم	5	٪22
شبه جملة	6	٪26
جملة فعل مضارع كامل	6	٪26

نموذج من نسب التركيب الكلامي في «الشمعة والدهاليز»، 1996

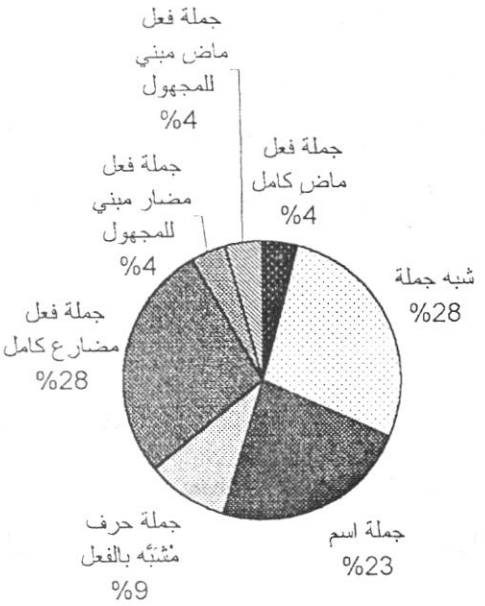

يمكن الاستنتاج مما سبق، أن الطاهر وطار استخدم **لغة نص روائي تعتمد على سبع تراكيب أساسية للتعبير عن موضوعات تنماز بحركية مجتمعية واضحة، ونزعة جمالية وسعي إلى الرفض والتجديد والبحث عن حقيقة الهوية القومية في مرحلة التسعينات.** والملاحظ في هذا المجال، أن ثلاث من هذه التراكيب السبعة، شبه الجملة وجملة الاسم وجملة الفعل المضارع الكامل، هي المهيمنة على تشكل لغة النص.

- **خلاصة**

إذا كان التعبير عن الفعل بصيغة المضارعة دليلا على حصول للحدث مرتبط بالزمان الراهن، وكان التعبير عن الأمر بصيغة الجملة الاسمية يمكن أن يدل على ما هو ناشئ من الأشياء، فإن في صيغة شبه الجملة ما قد يدل على تمسك بواقع ظرفي لحصول أمر أو نشوئه. ولذلك، فلعل بالإمكان القول، ومن خلال النموذج المعتمد من «الشمعة والدهاليز»، أن **لغة النص تدل على زمان مجتمعي يغلب عليه تمسك بوقت ظرفي يؤمل منه أن يشكل أرضية لآت زمني متوقع.**

خلاصة عامة

للباحث أن يستخلص مما سبق أن:

- الإيقاع الزمني، الذي تدل عليه الدلالات المجتمعية في لغة النصوص الروائية المختارة للطاهر وطار، إيقاع سريع جدا. فثمة تغيرات سريعة ومتتالية تشهد لها النصوص في مدة زمنية لم تتجاوز الأربعين سنة؛ وكما هو معلوم، فإن هذه المدة لا تعتبر، في حياة الشعوب، مدة طويلة على الإطلاق، لكن الأكيد، هاهنا، في ما تقدمه نصوص وطار، أنها مدة زمنية انمازت بإيقاع شديد التلون والتغير باتجاه ما هو أكثر فاعلية وإيجابية في الفعل المجتمعي للجزائريين.
- لغة النص الروائي لدى الطاهر وطار، وعبر النماذج المختارة، وخلال مرحلة زمنية امتدت زهاء الأربعين سنة، كانت ساحة خصبة للتأثر بفاعلية الزمان المجتمعي.

- لغة النص الروائي مادة شديدة القابلية للتأثر بفاعلية الزمان المجتمعي، وهي، تاليا، شاهدة على هذه الفاعلية.
- حركية الزمان المجتمعي، وكما أثبتت الدراسة، تبقى دائما باتجاه الآتي؛ ولا تكون باتجاه ما سبق وكان. فلئن شهدت «الطعنات» حكاية مجتمع بغي مقهور، فإن «عرس بغل» شهدت بعدها بتسع سنوات لمجتمع بغي قوي، قادر على تدبير أموره، وقادر حتى على تسخير الآخرين لخدمته؛ ثم كان «للشمعة والدهاليز» أن تشهد، بعد ثماني عشرة سنة، لمجتمع بعيد، عن شؤون البغاء وشجونه، يتلمس في بحث جدي ومسؤول جوهر هويته وحقيقة انتماءاته القومية والإنسانية. فالانتقال كان من حال معاناة وجود مفروض، إلى حال سعي إلى تحقيق هوية وجود تقوم على محاولات في الاجتهاد الذاتي لتشكيلها وقيامها.
- قراءة موضوعية لتاريخية الواقع المجتمعي الجزائري الراهن، قد تشهد لصحة ما ذكر، آنفا، عن حركية الزمان المجتمعي. فلئن كان المجتمع الجزائري عانى من مرحلة قمع وجمود تحول فيها إلى سلعة يتجر الغير بها، فإن هذا المجتمع استطاع أن يتحول، عبر الأربعين سنة الأخيرة، إلى وجود يسعى إلى تحديد حقيقة ما لوجوده وتأطير هوية ما لذاته.
- من المغري أن يتابع البحث الأكاديمي في مجالات دلالة الصياغة التركيبية اللغوية على الفاعلية المجتمعية التي تنبثق عنها. ومن هنا، فإن:

. تعبير جملة الفعل الماضي عما يمكن أن يشكل وجودا سلبيا في الحياة المجتمعية.

. قابلية جملة الفعل المضارع في التعبير عما هو مساحة حركة وتوتر في الحياة المجتمعية.

. استحقاق شبه الجملة والجملة الاسمية التعبير عما هو في مجال النشوء المجتمعي أو توقع حصوله مجتمعيا.

يدفع إلى مزيد من جهود البحث والدراسة في هذا الميدان:

حركية الزمان المجتمعي الجزائري من خلال النصوص الروائية المختارة من أعمال الطاهر وطار

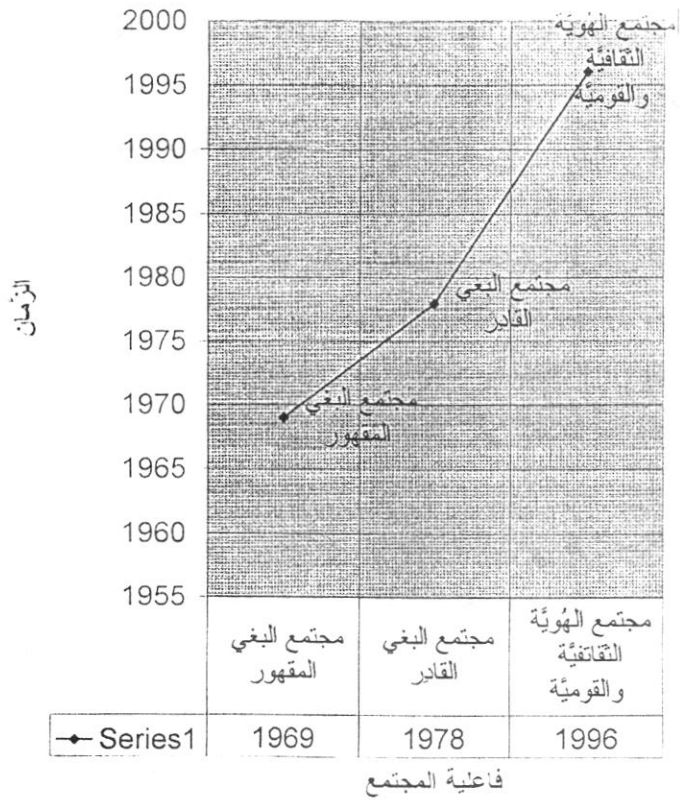

الهوامش:

(1) – ينظر حول هذا الأمر: Aristote, Physique, l. 4, c. 10-14.

(2) – ينظر حول هذا الأمر في: Heidegger, Sein und Zeit, Halle, 1927.

(3) – يراجع حول هذا الموضوع، على سبيل المثال:

– أ.ك. أوليدوف، الوعي الاجتماعي، ترجمة ميشيل كيلو، ط2، بيروت، دار ابن خلدون، 1982.

Bourdieu, P. & Passerom, J.C., Reproduction to Education, Society and Culture, trans. By – Richard Nice, SAGE Publication Ltd., London and Beverly Hills, 1977.

(4) – للتعمق في هذا الأمر، يمكن مراجعة عدد من الكتابات منها:

- Walzer Michel, The Revolution of the Saints, A study in the origin of radical politics, Cambridgem Massachusetts, 1965, 2nd edition, 1982.
- Weiner Richard, Cultural Marxism and Political Sociology, London, Sage, 1981.
- Rex John, Ethnic Identity and Ethnic Mobilization in Britain, Economic and Social Research Council, 1991.
- Heller Agnes, The Power of Chain. London, Routledge & Kegan Paul, 1985.
- Castells Manuel, The City and the Grass-Roots, London, Edward Arnoldm, 1983.
- Cohen Jean, Arto Andrew, Civil Society and Political Theory, Cambridge, MIT Press, 1992.

(5) – للتوسع في هذا الموضوع، يقترح مراجعة المؤلفات التالية على سبيل المثال:

- Arendt Hannah, La crise de la Culture, 1954, tr. Fr. Gallimard, 1972.
- Aron Raymond, Dimensions de la Conscience Historique, Plon, 1961.
- Baudrillard Jean, A l'ombre des majorite's silencieuses ou La fin du social, 1er ed. 1978.
- Rousseau Jean-Jacques, Discours sur les sciences et les arts, 1750;
- Discours sur l'origine de l'inegalité, 1754.
- Du contrat social, 1762.
- Emile ou de l'éducation, 1762.
- Scaff Lawrence A., Fleeing the Iron Cage: Culturem Politics and Modernity in the though of Max Weber, Berkley University of California Pressm 1989.
- Taylor Charles, Sources of the Self - The making of Modern Identity, Cambridge University Press, 1989.
- Marcuse Herbert, Raison et re'volution, Hegel et la naissance de la théorie sociale, 1941, tr. Fr.,Minuit, 1968.

(6) – ينظر في هذا الشأن، ودائما على سبيل المثال وليس الحصر:

– أدونيس، الثابت والمتحول-بحث في الاتباع والابداع عند العرب، الكتاب الثاني، تأصيل الأصول،

بيروت، دار العودة، 1977.

- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي-دراسات بنيوية في الشعر، بيروت، دار العلم للملايين، 1979.

- تشتشرين أز.ف. الأفكار والأسلوب، تر. حياة شرارة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة. لا.ت.

- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر. كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، 1988.

- خوسيه ماريا بوثويلو ايفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر. حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، 1992.

- شكري عياد، اللغة والإبداع- مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة، أنترناشيونال برس، 1988.

- صلاح فضل، شفرات النص-بحوث سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.

- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب-نحو بديل ألسني في نقد الأدب، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، 1977.

- وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرتية إلى التفكيكية، تر. يونيل يوسف عزيز، بغداد، دار المأمون، 1987.

(7) - للتوسع في هذا الموضوع يمكن النظر في:

- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية- دراسات أدبية، هـ.م.ك. 1993.

- نازلي معوض، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

- جون ديجو، الأدب الجزائري المعاصر، الصحافة الجامعية، 1974.

(8) - يراجع: يونس فقيه، الواقعية في الأدب العربي بين الثقافة والحضارة- نموذج الرواية المغاربية والفهم القومي، الجامعة اللبنانية، 1995.

مكتبة البحث

مؤلفات بالعربية أو معربة

- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي-دراسات بنيوية في الشعر، بيروت، دار العلم للملايين.

- أدونيس، الثابت والمتحول-بحث في الاتباع والابداع عند العرب، الكتاب الثاني، تأصيل الأصول، بيروت، دار العودة، 1977.

- أوليدوف ك.، الوعي الاجتماعي، ترجمة ميشيل كيلو، ط2، بيروت، دار ابن خلدون، 1982.

- ايفانكوس خوسيه ماريا بوثويلو، نظرية اللغة الأدبية، تر. حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، 1992.
- تشتشرين أز.ف. الأفكار والأسلوب، تر. حياة شرارة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة. لا.ت.
- ديجو جون، الأدب الجزائري المعاصر، الصحافة الجامعية، 1974.
- دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، تر. كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، 1988.
- راي وليم، المعنى الأدبي من الظاهرتية إلى التفكيكية، تر. يونيل يوسف عزيز، بغداد، دار المأمون، 1987.
- عثمان عبد الفتاح، الرواية العربية الجزائرية- دراسات أدبية، هـ.م.ك. 1993.
-عياد شكري، اللغة والإبداع- مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة، أنترناشيونال برس، 1988.
- فضل صلاح، شفرات النص-بحوث سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.
- فقيه يونس، الواقعية في الأدب العربي بين الثقافة والحضارة- نموذج الرواية المغاربية والفهم القومي، الجامعة اللبنانية، 1995.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب-نحو بديل ألسني في نقد الأدب، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، 1977.
- معوض نازلي، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

مؤلفات بلغات أجنبية

Arendt Hannah, La Crise de la Culture, 1954, tr. Fr. Gallimard, 1972.
Aristote, Physique, 1. 4, c. 10-14.
- Aron Raymond, Dimensions de la Conscience Historique, Plon, 1961.
- Baudrillard Jean, A l'ombre des majorite's silencieuses ou La fin du social, 1er ed. 1978.
Bourdieu, P. & Passerom, J.C., Reproduction to Education, Society and Culture, trans. By – Richard Nice, SAGE Publication Ltd., London and Beverly Hills, 1977.
- Castells Manuel, The City and the Grass-Roots, London, Edward Arnoldm, 1983.
- Cohen Jean, Arto Andrew, Civil Society and Political Theory, Cambridge, MIT Press, 1992.
- Heidegger, Sein und Zeit, Halle, 1927.
- Heller Agnes, The Power of Chain. London, Routledge & Kegan Paul, 1985.
- Marcuse Herbert, Raison et re'volution, Hegel et la naissance de la the'ore sociale, 1941, tr. Fr. Minuit, 1968.

- Rex John, Ethnic Identity and Ethnic Mobilization in Britain, Economic and Social Research Council, 1991.
- Richard Nice, SAGE Publication Ltd., London and Beverly Hills, 1977.
- Rousseau Jean-Jacques, Discours sur les sciences et les arts, 1750;
- Discours sur l'origine de l'inegalité, 1754.
- Du contrat social, 1762.
- Emile ou de l'éducation, 1762.
- Scaff Lawrence A., Fleeing the Iron Cage: Culturem Politics and Modernity in the though of Max Weber, Berkley University of California Pressm 1989.
- Taylor Charles, Sources of the Self - The making of Modern Identity, Cambridge University Press, 1989.
- Walzer Michel, The Revolution of the Saints, A study in the origin of radical politics, Cambridgem Massachusetts, 1965, 2nd edition, 1982.
- Weiner Richard, Cultural Marxism and Political Sociology, London, Sage, 1981.